لمحة عن كتاب

"منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله في الحكمة والعقل"

لشيخنا العلامة / ربيع بن هادي عمير المدخلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه. وبعد:

فإن الحديث عن مؤلفات العلامة الوالد الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي حفظه الله تعالى ذاك العالم الجهبذ الذي بذل وقته وجهده وحياته في الذبّ عن السنة ونصرتها بكتب كثيرة متنوعة لاشك أنه حديث يحتاج إلى وقت وجهد لما لمؤلفاته من الثمار اليانعة والآثار الحميدة التي كانت سبباً -بعد الله تعالى- في نشل كثير ممن انحرف من أهل المناهج المنحرفة والأفكار المتحزبة الشيطانية عن الطريق المستقيم والصراط القويم.

ومن أوائل المؤلفات التي كتبها شيخنا في نصرة السنة كتابه النفيس: ((**منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل**)) ولي وقفات مع هذا الكتاب أبين فيها بعض مضامينه ومقاصده:

أولاً: تأريخ الكتاب:

يعتبر هذا الكتاب من الكتب التي تعّد باكورة الردّ على منهج الإخوان المسلمين وبيان خطورته، وأما عن تأريخه فقد نُشر جزء من هذا الكتاب في مجلة الجامعة الإسلامية في العدد (٦٣-٦٤)، في رجب ١٤٠٤هـ، في الصفحة (٢٣-٧٤)، ثم طبع هذا الكتاب الطبعة الأولى في عام ١٤٠٦هـ، ثم قابلت النسخة المطبوعة -بإشارة من الشيخ- على المخطوط الذي بخط الشيخ وأكملت الفراغات والنقص، وطبع طبعة مزيدة وبتقديم الشيخ صالح الفوزان عام ١٤٢٠هـ، وتوالت بعد ذلك الطبعات الكثيرة وانتشر انتشاراً واسعاً بحمد الله.

ثانياً: قالوا عن الكتاب:

لقد تواردت كلمات العلماء في الثناء على هذا الكتاب، وقد قدّم الشيخ العلامة صالح الفوزان له بمقدمة نفيسة بيّن فيها منهج أهل السنة في التعامل مع قضية الحاكمية ومما جاء في مقدمته: ((من هؤلاء الذين بينوا ونصحوا فضيلة الشيخ الدكتور: ربيع بن هادي المدخلي في هذا الكتاب

الذي بين أيدينا وهو بعنوان: ((منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل)) فقد بين- وفقه الله وجزاه خيراً - منهج الرسل في الدعوة إلى الله كما جاء في كتاب الله وسنة رسوله وعرض عليه منهج الجماعات المخالفة ليتضح الفرق بين منهج الرسل وتلك المناهج المختلفة والمخالفة لمنهج الرسل وناقش تلك المناهج مناقشة علمية منصفة مع التعزيز بالأمثلة والشواهد، فجاء كتابه - والحمد لله - وافياً بالمقصود، كافياً لمن يريد الحق، وحجة على من عاند وكابر، فنسأل الله أن يثيبه على عمله، وينفع به)).

وقال العلامة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي لما سئل عن هذا كتاب: ((بيّن فيه أن دعوة الإخوان المفلسين أنهم بدأوا من الموضع الذي انتهى منه النبي ﷺ، النبي ﷺ بدأ بالتربية وهم بدأوا بالوثوب على الكراسي، فهو كتاب قيّم)).

وقال العلامة زيد بن مُحَمَّد المدخلي في تقديمه لكتاب "جماعة واحدة لا جماعات": ((ومن جملة من انبرى للرد في هذا العصر على كتب سيد قطب والمودودي والجماعات الحركية والتنظيمات الحزبية والجماعات التبليغية أخونا الفاضل الشيخ / ربيع بن هادي المدخلي عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وذلك في ستة كتب. الكتاب الأول : منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل.)) ثم ذكر جملة من كتب الشيخ.

ثالثاً: مضامين الكتاب:

مقدمة الكتاب: بين فيها رعاه الله دوافع تأليفه لهذا الكتاب ومن ذلك: اختلاف الأمة الإسلامية وعدم احتكامها إلى الوحيين، وحدوث تيارات فكرية منحرفة أدّت إلى تحريف المنهج الإسلامي.

ثم عقد فصولاً متعددة في بيان منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، ومن ذلك:

الفصل الأول: إكرام الإنسان بالعقل والفطرة. فالله تعالى أكرم الإنسان ومن إكرامه له أن أعطاه العقل والفطرة السليمة التي توافق الشرع، فالعباد كلهم مفطورون على التوحيد، فاجتالتهم الشياطين.

والفصل الثاني: إكرام البشر بإرسال الرسل إليهم، وإنزال الكتب عليهم. فالله تعالى لم يكلهم إلى العقل والفطرة بل أيد ذلك بالرسل، وأمر الأمم بطاعتهم، وكانت رسالاتهم شاملة لكل خير محذرة من كل شر، وأن أسس دعوة الأنبياء تلتقي في التوحيد والنبوات والمعاد، وأن كُتب الله تعالى كلها داعية إلى هذه الأسس ومن أهمها التوحيد، بل إن قرآننا كله في التوحيد

وحقوقه وجزائه، وفي ضد ذلك.

وجاء **الفصل الثالث: في بيان توحيد الألوهيَّة وأهميَّته**، وأنه الجانب الأهم من دعوات الرسل، وفيه حصل الخلاف الكبير عند المنتسبين للإسلام.

ثم شرع الشيخ في بيان **دعوات الأنبياء** بصفة عامة: وأن دعوتهم جميعاً إلى التوحيد، مما يدل أنّ هذا هو الطريق الوحيد الذي يجب أن يسلك في دعوة الناس إلى الله تعالى.

ثم جاء **التفصيل في دعوات الأنبياء جميعاً** مبيناً أنهم على هذه الدعوة الواحدة إلى التوحيد والبداءة به والاهتمام به، وما لاقوه في سبيل الدعوة إلى التوحيد.

١- فبين دعوة نوح عليه السلام ، أبو البشر الثاني، وأول رسول إلى أهل الأرض عاش هذا النبي العظيم عمراً مديداً ودهراً طويلاً، ألف سنة إلاّ خمسين عاماً لبثها في دعوة قومه إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، لا يكلّ ولا يملّ، ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً.

٢- وثانيهم: أبو الأنبياء وإمام الموحدين الحنفاء إبراهيم عليه السلام خليل الله، الذي أمر الله سيد المرسلين، وخاتم النبيين وأمته باتباعه والائتساء بدعوته والاهتداء بهديه ومنهجه.

٣- وثالثهم: يوسف عليه السلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم الذي أنزل الله في شأنه سورة طويلة تقص لنا حياته الكريمة ومراحلها من طفولته إلى موته، وكيف تقلبت به الأحوال، وما واجه من صعاب، فتلقاها بقوة النبوة وصبرها وحكمتها وحلمها. وكان داعية إلى التوحيد.

٤- ورابعهم: موسى عليه السلام كليم الله، القوي الأمين، نرى دعوته تتجه إلى التوحيد وتحمل في طيّاتها أنوار الهداية والحكمة.

٥- والخامس: سيد الأنبياء وخاتمهم مُحَمَّد بن عبد الله ﷺ صاحب أعظم رسالة وأكملها وأشملها، الذي أرسله الله رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وأنه بدأ بما بدأ به كلّ الأنبياء، وانطلق من حيث انطلقوا بدعواتهم من عقيدة التوحيد والدعوة إلى إخلاص العبادة لله وحده، سواء كان ذاك في العهد المكي أو العهد المدني.

٦- وكذلك أصحابه من بعده، وشرح ذلك شرحاً موسعاً، وعاد إلى تأكيد ذلك من سيرة النبي ﷺ وأقواله وأفعاله.

ثم جاء بتساؤل أجاب عنه، وخلاصة ذلك: **هل يجوز للدعاة إلى الله في أيّ عصرٍ من العصور العدول عن منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله؟**

الجواب: لا يجوز شرعاً ولا عقلاً العدول عن هذا المنهج واختيار سواه.

أولاً: أنَّ هذا هو الطريق الأقوم الذي رسمه الله لجميع الأنبياء من أوّلهم إلى آخرهم.

ثانياً: أنَّ الأنبياء قد التزموه وطبّقوه، مما يدل دلالة واضحة أنَّه ليس من ميادين الاجتهاد، فلم نجد نبيّاً افتتح دعوته بالتصوّف، وآخر بالفلسفة والكلام، وآخرين بالسياسة.

ثالثاً: أنَّ الله قد أوجب على رسولنا الكريم الذي فرض الله علينا اتباعه أن يقتدي بهم، وقد اقتدى بهداهم في البدء بالتوحيد، والاهتمام الشديد به.

رابعاً: لما كانت دعوتهم في أكمل صورها تتمثل في دعوة إبراهيم -عليه الصلاة والسلام -، زاد الله الأمر تأكيداً، فأمر نبيّنا مُحَمَّداً -ﷺ- باتباع منهجه، فالأمّة الإسلاميَّة مأمورة باتباع ملَّته، فكما لا يجوز مخالفة ملَّته، لا يجوز العدول عن منهجه في الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك ومظاهره ووسائله.

خامساً: أمرنا عند التنازع بالرجوع إلى الله والرسول، فإذا رجعنا إلى القرآن أخبرنا أنَّ كل الرسل كانت عقيدتهم عقيدة التوحيد وأنَّ دعوتهم كانت تبدأ بالتوحيد، وأنَّ التوحيد أهم وأعظم ما جاءوا به.

ثم بين الشيخ أن من خالف هذا المنهج من المعاصرين ساروا على طريقتين: إما طريقة التبليغ، وإما طريقة الإخوان المسلمين الذي جعلوا السياسة والحكم هو المقصد فبدأوا به وتركوا منهج الأنبياء، وضرب على ذلك أمثلة من كلام المودودي وناقشه مناقشة قوية مطولة.

ثم بيان **مكانة الإمامة عند علماء الإسلام**، وبين منزلتها الصحيحة في الدين، مستدلاً على ذلك بنصوص القرآن والسنة، وردّ على بعض مقولات عبد القادر فوده وسيد قطب التي تدعم هذا التيار وتأسسه على الباطل.

ومن هنا أحث إخواني طلاب الحق أن يقرأوا هذا الكتاب مراراً وينشروه بينهم فإن فيه النفع العظيم.

وكتب

خالد بن ضحوي الظفيري

ليلة الجمعة ١٤٣٦/٣/١٨هـ